الباب السابع
من أعلام حرستا

الفصل الأول: العلماء والفقهاء.

الفصل الثاني: القضاة.

الفصل الثالث: الشعراء.

الفصل الرابع: من معلمي حرستا.

الفصل الأول
العلماء والفقهاء

حرص الإسلام على تنشئة أهله التنشئة العلمية، ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية اهتم بنو أمية وخلفاؤهم بتربية أهل الغوطة، فكما برزوا في زراعة أرضها وإقامة القصور المنيفة فيها، لم يقصروا في حمل هَدي الدين الإسلامي إلى نفوس ساكنيها. ولم تخلُ حرستا في يوم من الأيام من مؤدِّب يؤدب أولادها الأدب الذي لا يستغني عنه مسلم، يعلِّمهم القراءة والكتابة ويحفِّظهم القرآن الكريم وبعض من السنة، ويروي لهم الأشعار ويدربهم على معارف كثيرة، فينشأ منهم رجالاً يشاركون مشاركة لا بأس بها في الآداب، ومن آنس من نفسه مقدرة واستغنى أهله عنه في زراعتهم أكمل علمه على أيدي العلماء.

كان التلقِّي عن الرجال من أهم عوامل التعليم عند القدامى، دام ذلك إلى عهد قريب. وكان من الولع برواية الحديث النبوي أعظم معوان على نشر الثقافة، وتتوقف رواية الحديث على تلقف شيء من اللغة والنحو والصرف والشعر والأنساب وتقويم البلدان.

ولما نشأت المدارس بدمشق واقتفت أثرها سائر المدن الشامية اكتفت حرستا مع باقي قرى الغوطة بمدارس دمشق إذ تبعث بأبنائها إلى تلك المدارس حتى أصبحوا من أكابر مدرِّسيها.

بلغت حرستا من درجات العلم مكانة لا بأس بها، وما خلت في أكثر الأدوار من رواة السنة وعلماء الفقه، وقد أخرجت رجالاً اشتهروا شهرة عالمية وخدموا الشريعة على اختلاف مظاهرها. وسوف نُقدِّم دراسة وافية عن أولئك العلماء الذين خرجوا منها وبلغ علمهم أقطار الدنيا ومنهم:

1. الحسن بن فرقد الشيباني الحرستاني:

وهو من أهل حرستا، انتقل إلى العراق، وسكن في (واسط)[1] وكان جندياً موسراً له ذكر عظيم. قال ولده الإمام محمد بن الحسن: ترك أبي ثلاثين ألف درهم فأنفقت خمسة عشر ألفاً على النحو والشعر، والباقي على الفقه والحديث.

وللحسن بن فرقد فضل عظيم على تربية ولده التربية الصالحة التي جعلت منه فصيحاً بليغاً إذ جعله يحفظ كتاب الله تعالى منذ صغره، ثم أرسله لطلب الحديث والسماع ومجالسة كبار الفقهاء آنذاك.

قال أبو حنيفة للحسن بن فرقد حين حمل ولده إليه: احلق شعر ولدك وألبسه الخلقان لأنه كان جميلاً حسناً[2].

2. محمد بن الحسن الشيباني الحرستاني:

ولد الإمام محمد سنة 132هـ في مدينة واسط، ثم انتقل من واسط واستقر (بالكوفة)[3] لوجود أبي حنيفة بها وكبار العلماء والفقهاء، ورجال الأدب واللغة والحديث في تلك المدينة، فنشأ محمد بن الحسن بين هؤلاء فأخذ عنهم.

ولما بلغ سنه أربع عشرة سنة حضر مجلس أبي حنيفة، ليسأله عن مسألة نزلت به. وكان هذا أول لقاء مع أبي حنيفة.

وعندما بلغ سن التمييز تعلَّم القرآن الكريم وحفظ منه ما تيسَّر له حفظه. وأخذ يحضر دروس اللغة العربية والرواية. وكانت الكوفة آنذاك مهد العلوم العربية، ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة.

لقد ألقى الله سبحانه في قلبه حبّ التفقه في دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه عند أبي حنيفة، فأقبل بكليته يلازم حلقة أبي حنيفة، ويكتب أجوبة المسائل في

---

(1) واسط: مدينة في العراق بناها الحجاج سنة 84هـ، وهي مدينة عظيمة ذات قرى كثيرة وبساتين ونخيل. (معجم البلدان: 5/ 347).

(2) انظر (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي: 1/ 322).

(3) الكوفة: بلد بأرض العراق أيضاً، في ظاهرها منازل النعمان بن المنذر. قال سفيان بن عُيينة: خذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة. (معجم البلدان: 4/ 490).

مجلسه ويدوِّنها. وبعد أن لازمه أربع سنين على هذا الوجه مات أبو حنيفة رحمه الله تعالى، ثم أتمَّ الفقه عند القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي[1].

وأما الحديث فقد سمعه من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء بالكوفة والبصرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة ودمشق، بل جمع إلى علم أبي حنيفة وأبي يوسف علم الأوزاعي، والثوري، ومالك، حتى أصبح فقيهاً وإماماً لأهل الرأي، وحجة في اللغة باتفاق أهل العلم.

وكان الشيباني كثير الاشتغال بالعلم، حتى قال لأهله: «لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا قلبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنه أقل لهمِّي، وأفرغ لقلبي».

ومن خصَّه الله سبحانه وتعالى بمثل تلكم المواهب، وأقبل إلى العلم هذا الإقبال، وأخلص هذا الإخلاص لابدَّ وأن تثمر مساعيه بِثُمر عظيم. وقد تتلمذ على عدد من علماء الأمصار المختلفة ومنها:

من أهل الكوفة: أبو حنيفة، وسفيان الثوري، وزفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضي، وغيرهم كثير.

من أهل المدينة: مالك بن أنس، وأسامة بن زيد الليثي، وخثيم بن عراك.

من أهل مكة: سفيان بن عيينة الكوفي، وزمعة بن صالح، وإبراهيم بن يزيد الأموي، وعبدالله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي الطائفي.

من أهل البصرة: أبو العوام بن عبد العزيز بن الربيع البصري، والمبارك بن فضالة.

من أهل واسط: شعبة بن الحجاج، وأبو مالك عبد الملك النخعي.

من أهل الشام: الأوزاعي، ومحمد بن راشد المكحولي، وثور بن يزيد الدمشقي.

من أهل خراسان: عبدالله بن المبارك.

من أهل اليمامة: أيوب بن عتبة التيمي، وغير هؤلاء من أهل تلك البلاد وغيرها.

---

(1) القاضي أبو يوسف (113ـ182هـ): هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان من حفاظ الحديث، ولد بالكوفة، وولي القضاء ببغداد أيام الرشيد. (الأعلام، خير الدين الزركلي: 8/ 193).

رحلته إلى الإمام مالك:

عندما بدأ (الموطأ) يذيع في أوائل عهد المهدي رحل محمد بن الحسن إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس ولازمه ثلاث سنين. وجملة ما سمعه من لفظ مالك من الحديث نحو سبعمائة حديث مسند.

وسمع من سائر شيوخ المدينة في هذه الرحلة زيادة على ما كان سمعه منهم في رحلاته السابقة.

شذرات من أخباره العلمية:

1. تفقه أسد بن فرات عند محمد بن الحسن:

كان أسد بن فرات قد خرج من القيروان إلى الشرق سنة اثنتين وسبعين ومئة فسمع الموطأ على مالك بالمدينة. ومن ثم رحل إلى العراق وتفقه على يد محمد بن الحسن، ولما حضر عنده قال له: إني غريب، قليل التفقه، والسماع منك نذر، والطلبة عندك كثير فما حيلتي؟

فقال محمد: اسمع مع العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندي وأسمعك.

قال أسد بن فرات: وكنت أبيت عند محمد بن الحسن وينزل إليَّ ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء، ثم يأخذ في القراءة فإذا طال الليل ورآني نعست ملأ يده ونضح به على وجهي فأنتبه، فكان ذلك دأبه ودأبي حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه.

وكان محمد بن الحسن يتعهَّد أسد بن الفرات بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفذت، وكان في إحدى المرات أعطاه ثمانين ديناراً حينما رآه يشرب من ماء السبيل.

ولا يمكن لأي إنسان صبر محمد بن الحسن الشيباني الحرستاني في تعليم تلاميذه ولا من يؤثر إيثاره في الإنفاق عليهم سوى أستاذه الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

وكان محمد بن الحسن إذا حدَّث عن الإمام مالك بعد موته اجتمع عليه الناس وانسدَّت إليه الطرق رغبةً منهم في سماع حديث مالك. وإذا حدَّث عن غيره لم يجئه إلاَّ الخواص.

2. مع الرشيد:

ولد الخليفة هارون الرشيد في بيت يحرص على أحكام الشريعة الإسلامية، فكان جدّه المنصور أحد فقهاء عصره. وكان أبوه المهدي من أشدِّ الناس طاعة لأهل العلم، ومن أكثرهم حزماً على الزنادقة والمارقين. وقد نشأ محمد بن الحسن في هذا الوسط تقياً صادقاً في عقيدته، قوياً بإيمانه، درس على أيدي أساتذة كبار عُرفوا بالورع والتعفُّف. ولَّما بلغ محمد من العلم والفقه مبلغ العلماء والعظماء ولاَّه الرشيد القضاء على الكوفة، وخرج معه في سفره إلى خراسان ثم عزله وصحبه معه إلى الري وولاَّه القضاء فيها. ولقد لقَّبه الرشيد بإمام أهل الرأي لما غلب عليه الرأي.

3. رحلة الإمام الشافعي إليه:

كان محمد بن إدريس الشافعي قد تفقَّه على مسلم بن خالد الزنجي بمكة ولما حمل إلى العراق سنة أربع وثمانين ومئة وكان قاضي العراق الإمام محمد بن الحسن، فلازمه وتفقه عليه، ونسخ مصنَّفاته بصرف نحو ستين ديناراً، وانصرف إلى التفقه عنده انصرافاً تاماً حتى علا شأنه.

ومما كتبه إليه في أول قدومه يستبطئ إعارة كتاب كان طلبه من محمد بن الحسن.

قل للذي لم ترَ عين من رآه مثله
حتى كأن من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجَّه به إليه في الحال هدية لا إعارة.

ومن المعلوم أنَّ الإمام الشافعي رأى مالكاً، ووكيع بن الجراح، وابن عيينة، وقد اعترف في تلك الأبيات أنه لم يَرَ مثل محمد بن الحسن، وعدَّه يمثل علم أبي حنيفة الذي لم يدركه الشافعي.

قال الشافعي: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً، ثم تدبَّرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً، ولزمته وكتبت وعرفت أقاويله. وكم لمحمد بن الحسن من أياد بيض على الإمام الشافعي حتى قال عنه: أمنُّ الناس عليَّ في الفقه محمد بن الحسن، وقد

أعانني الله برجلين بابن عيينة في الحديث، وبمحمد بن الحسن في الفقه، وما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كأنه نزل بلغته. وكل ذلك مما يدلُّ على أن الشافعي كان عظيم الإجلال لمحمد بن الحسن، كبير الأدب في معاملته معه.

وقال الشافعي أيضاً: ما سألت أحداً عن مسألة إلاَّ تبيَّن لي تغيُّر وجهه إلاَّ محمد بن الحسن.

وعندما عاد الإمام الشافعي إلى مكة بعد أن تفقه عند محمد بن الحسن وأخذ يقارن ما تلقَّاه منه بفقه أهل الحجاز حتى حصلت له اختيارات أدَّت به إلى إظهار الاجتهاد بعد وفاة محمد بسنوات.

أقوال أهل العلم فيه:

أثرت أقوال كثيرة عن الأمام محمد بن الحسن وكلها تمتدحه، وتُبيِّن أهميته بين علماء الفقه والحديث وقد اقتطفنا بعض تلكم الأقوال:

1 ـ قال الإمام مالك بن أنس: ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه معنى إلاَّ هذا الفتى. وكان في الجماعة محمد بن الحسن فأشار عليه مالك بن أنس بتلك الكلمات.

2 ـ وقال الإمام الشافعي: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن، ولو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن، ما جالست فقيهاً قط أفقه منه، ولا فتق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجز عنه الأكابر، ولقد كتبت عن محمد بن الحسن حمل بعير، ولولاه ما فتق لي من العلم ما انفتق، والناس كلهم عيال على أهل العراق، وأهل العراق كلهم عيال على أهل الكوفة، وأهل الكوفة عيال على أبي حنيفة. ولو أشاء أن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته، وما رأيت سميناً أخف روحاً من محمد بن الحسن، وما رأيت أفصح منه، وما رأيت أعقل منه، فكان يملأ العين والقلب، وما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أحسن نطقاً وإيراداً من محمد بن الحسن.

3 ـ وقال داود الطائي عندما رأى محمد بن الحسن وكان صغيراً: إنْ عاش فسيكون له شأن.

4 ـ وقال يحيى بن معين: كتبت الجامع الصغير عن محمد بن الحسن.

5 ـ وقال محمد بن سلام: أنفقت على كتب محمد عشرة آلاف درهم، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما اشتغلت إلاَّ بكتب الرجل الصالح محمد بن الحسن.

6 ـ وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: كان محمد بن الحسن له مجلس في مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة.

7 ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم يسمع مخالفهم فقيل من هم؟ فقال: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن. فأبو حنيفة أبصرهم بالقياس، وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار، ومحمد أبصر الناس باللغة والفقه.

وسئل يوماً، من أين لك هذه المسائل الدقيقة؟ فقال: من كتب محمد بن الحسن.

8 ـ قال الإمام الذهبي: كان في محمد بن الحسن ذكاء مفرط، وعقل تام، وكثرة تلاوة.

9 ـ سئل علي بن المديني عن محمد بن الحسن فقال: صدوق.

10 ـ وقال سبط ابن الجوزي: كان محمد بن الحسن إماماً حجةً في جميع العلوم.

أشهر مؤلَّفاته:

لم يعش محمد بن الحسن حياة طويلة، فقد توفي في الثامنة والخمسين من العمر على الأرجح، ولكنها سنين مباركة أنجز فيها من الكتب قدراً هائلاً لا يقوم بمثله إلاَّ العصبة أولو العزم.

وليس من شك في أنَّ إبعاده بتعيينه قاضياً للرقة لمدة عامين ثم عزله بعد ذلك كانا خيراً وبركة عليه وعلى فقه أبي حنيفة، لأن ذلك أتاح له فرصة التفرغ الكامل الذي هيأ له الاضطلاع بهذا العبء الكبير المتكامل من الكتب والمؤلفات وأهمها:

1 ـ كتاب المبسوط: ويعرف بالأصل لأنه يمثل الفقه العراقي أصدق تمثيل، وهو أهم مرجع للفقه الحنفي. وقد قام بشرحه شمس الأئمة السرخسي. ويقع الكتاب في ثلاثين جزءاً، وهو أطول كتب الشيباني. ويعدّ المبسوط هذا سهل العبارة، قريب التناول، غزير الفائدة، ونفع الله به خلقاً كثيراً. وقال الناظم:

وكتب ظاهر الرواية أتت ... ستاً بكل ثابت عنهم حَوَتْ

صنَّفها محمد الشيباني ... حرَّر فيها المذهب النعماني

الجامع الصغير والكبير ... والسير الكبير والصغير

ثـــم الزيـــادات مـــع المبســـوط ... تواتـــرت بالسَّـــند المضبـــوط
كـــذا لـــه مســـائل النـــوادر ... إسـنادها فـي الكتـب غـير ظـاهر
وبعـــد مســـائل النـــوازل ... خرَّجـــها الأشـــياخ بـــالدلائل
ويجمـع الســت كتـاب الكـافي ... للحـاكم الشـهيد فـهو الكـافي
أقـوى شـروحه التـي كالشـمس ... مبسـوط شـمس الأئمـة السرخسـي

2 ـ كتاب الجامع الكبير: اهتم العلماء بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً. وكان الملك العادل أبو بكر بن أيوب يعطي مئة دينار لمن يحفظ الجامع الكبير، وخمسين ديناراً لمن يحفظ الجامع الصغير.

وهذا الكتاب يعتبر من الأعمال العلمية والفقهية الكبرى، ويعطي المادة الفقهية التي يحتاج إليها الدارس مفصلة مفرعة، وهو من روائع ما أخرج الإمام محمد من كتب الفقه.

3 ـ كتاب الجامع الصغير: وهو دون الجامع الكبير من حيث الحجم والمادة العلمية، ويُعدُّ من الأصالة والنفاسة من حيث ترتيبه وتبويبه، والعناية به وشرحه.

4 ـ كتاب السِّير الكبير: وهو آخر كتاب ألَّفه محمد بن الحسن ويُقصد بالسير (المغازي) وسبب تأليف هذا الكتاب كان ضرباً من ضروب المنافسة بين علماء العراق وعلماء الشام. ويدور موضوع الكتاب حول جميع الأمور المتعلقة بالحرب وعلاقتها بالمشركين وأحكامها. فهو في الحقيقة القانون الدولي للمسلمين في أمور الحرب. وقد أُعجب به الرشيد عندما اطَّلع عليه، وعدَّه من مفاخر أيامه وأرسل ابنيه يستمعانه على مؤلفه، وزاد الاهتمام به في أيام الدولة العثمانية فَتُرجم إلى اللغة التركية في أيام السلطان محمود خان، واتخذ أساساً لأحكام المجاهدين العثمانيين في حروبهم مع الدول الأوربية.

وقد كان محمد بن الحسن الشيباني الحرستاني بتأليفه في أمور تتعلق بالقانون الدولي أسبق من غروسيوس الهولندي سنة 1945م الذي عاش في القرن السابع عشر وسمي أبا القانون الدولي[1].

---

(1) وقد تنبَّه في السنوات الأخيرة لشأن محمد بن الحسن من هذه الناحية المشتغلون بالقانون الدولي، فأسست في (غوتنجن) بألمانيا جمعية الشيباني للحقوق الدولية وضمَّت علماء القانون الدولي والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم، وانتخب رئيساً لها الدكتور عبد الحميد بدوي الفقيه المصري الكبير. وتهدف هذه الجمعية إلى التعريف بالشيباني وإظهار آرائه في هذا الباب ونشر مؤلفاته المتعلقة بذلك.

5 ـ كتاب السِّير الصغير: في هذا الكتاب بيان أحكام الجهاد، وما يجوز فيه وما لا يجوز، وأحكام الموادعة ومتى يصح نقضها، وأحكام الأمان وممَّن يجوز، ثم أحكام الغنائم والفدية، وغير ذلك مما يكون في الحروب.

6 ـ كتاب الزيادات: وهو الكتاب السادس من كتب ظاهر الرواية، وقد اشتمل على مسائل زائدة على الكتب السابقة، وقد شرحه الإمام السرخسي. وقد قيل فيه:

إنَّ الزيادات زاد الله رونقها ... عقمٌ مسائلها من أصعب الكتب
أصولها كالعذارى قط ما افترعت ... فروعهن يد في العجم والعرب
ينال قارئها في العلم منزلة ... يغيب إدراكها عن أعين الشهب

7 ـ كتاب الآثار: وقد جمع فيه الإمام الشيباني الأحاديث والآثار التي كانت عند أهل العراق ورواها عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، ففيه آثاراً موقوفة، وأخباراً مقبولة مع تنقيح المسائل وتوضيح الدلائل.

وفاته:

كانت ولادته رحمه الله تعالى سنة 132هـ، وأمَّا وفاته فكانت سنة 189هـ. وتوفي بعده الإمام الكسائي بيومين، وقيل ماتا في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت اللغة والفقه بالري.

وقال بعض أصحابه: رأيت محمد بن الحسن في المنام، فقلت له: كيف كانت روحك وأنت تنزع، فقال لي: كنت أفكر في مسألة فقهية فلم أشعر كيف خرجت روحي.

وكان رحمه الله إذا سَهِر الليالي، وانحلَّت له المشكلات يقول: أين أبناءُ الملوكِ من هذه اللذات؟

وقال: إن صناعتنا هذه من المهد إلى اللَّحد، فمن أراد أن يترك علْمَنا هذا ساعةً، فليتركه السَّاعة.

وقد قال قصيدةً قبل موته:

تَعَلَّم فإن العلم زَينٌ لأهله ... وفضلٌ وعنوانٌ لكلِّ المحامد
وكن مستفيداً كلَّ يوم زيادةً ... من العلم واسْبَح في بحار الفوائد
تفقَّه فإنَّ الفقه أفضل قائد ... إلى البرِّ والتقوى وأعدلُ قاصد

هو العَلَمُ الهادي إلى سُنَن الهُدى ... هو الحِصْنُ يُنجي من جميع الشَّدائد
فإنَّ فقيهاً واحداً متورِّعاً ... أشَدُّ على الشيطان من ألف عابد

وقد أنشد إسماعيل بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عن أبيه، أنشد يرثي محمد بن الحسن والكسائي:

تصرَّمت[1] الدنيا فليس خلود ... وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرئ منا من الموت منهل[2] ... فليس له إلاَّ عليه ورود
ألم تَرَ شيئاً شاملاً يبدو البلى ... وأنَّ الشباب الغض ليس يعود
سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت ... فكن مستعداً بالفناء عتيد[3]
وقلت إذا ما الخطب[4] أشكل من لنا ... بإيضاحه يوماً وأنت فقيد
أسيت على قاضي القضاة محمد ... فذرفت دمعي والفؤاد عميد[5]
وأقلقني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد
وأذهلني عن كل عيش ولذة ... وأرق عيني والعيون هجود[6]
هما عالمانا أوديا وتحزما ... فما لهما في العالمين نديد[7]
فحزني متى تخطر على القلب خطرة ... يذكرهما حتى الممات جديد

3. إبراهيم بن عتيق العبسي الحرستاني:

وهو إبراهيم بن عتيق بن حبيب أبو إسحق العبسي، أخو عبد السلام، ويقال: السُّلَمي مولاهم.

كان جدُّه من أهل حرستا، وكانت داره بدمشق بناحية باب السَّلامة. روى عن مروان بن محمد الدمشقي، بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله

---

(1) تَصَرَّمتْ: تجلَّدتْ وتَقَطَّعَتْ.
(2) المَنْهَلُ: المشرب.
(3) العَتيدُ: الحاضر المُهَيَّأ.
(4) الخَطْبُ: الشأنُ، والأمرُ صَغُرَ أو عظُمَ.
(5) عَميد: سَيِّدٌ ورئيس.
(6) الهجود: النَّوم.
(7) نَديدُ: مثيل ونظير.

صلى الله عليه وسلم: «لا يحلُّ لإمرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر إلاَّ مع محرم من أهلها»[1].

وعن منيه بن عثمان اللَّخمي، بسنده عن أنس بن مالك، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حضَر العَشاء وأُقيمت الصلاة فابدؤوا بالعَشاء»[2].

قال عمرو بن دُحيم: سألته عن مولده فقال: سنة سبع وثمانين ومئة.

قال ابن أبي حاتم: سمعنا منه وهو صدوق[3].

4. إسماعيل بن نفيع الحرستاني:

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن عُبيد بن نُفيع العنسيّ الحرستاني. روى عن أبيه، أنَّه كان في مسجد الكوفة ينتظر ركوع الضحى، ويمتَعُ[4] النهار، إذ أجفل[5] الناس من ناحية المسجد، فأجفلت فيمن أجفل فإذا برجلٍ عليه إزارٌ له ومُلاءة، وهو يقول: أنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص، سمعت أبي يأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه فهو مؤمن، ومن جاء بثلاث وكتم واحدةً فقد كفر: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله، وأنَّه مبعوث من بعد الموت، وإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه، فمن جاء بثلاث وكتم واحدةً فهو كافر».

قالَ أبو حاتم: إنَّه من أهل الشام، من أهل حرستا[6].

5. حُدَير أبو فوزة السُّلمي:

قيل: إنَّ اسمه أبو فروة الأسلمي - ويقال السُّلمي - مولاهم. ويقال: إنَّ له صحبة، سكن حمص.

---

(1) مختصر صحيح مسلم، برقم (646)، وابن ماجة، برقم (2899).

(2) مسند أحمد (11971)، البخاري (672)، مسلم (557).

(3) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور: (4/ 81).

(4) مَتَعَ النهارُ: ارتفع قبلَ الزَّوال، والضُّحَى بَلَغَ آخرَ غايته.

(5) أجْفَلَ الناس: ذهبوا فمضوا.

(6) مختصر تاريخ ابن عساكر: (4/ 365).

قال عثمان بن أبي العاتكة: حدَّث أخ لي يقال له زياد، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم، بارك لنا في شهرنا هذا الداخل». فذكر الحديث وقال: توالى على هذا الدعاء ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سمعوه منه، والسابع الفرس الجرموز[1]، والرمح الثقيل حُدَير أبو فوزة السُّلمي.

قال أبو نصر بن ماكولا: أمَّا أبو فروة بتقديم الراء فجماعة، وأمَّا بتقديم الواو فهو أبو فوزة حُدَير السلمي.

قال بكر بن سوادة: دخل حُدَير الأسلمي على أبي الدرداء يعوده وعليه جبة من صوف، وقد عرق فيها وهو نائم على حصير، قال: يا أبا الدرداء ما يمنعك أن تلبس من الثياب التي يكسوك معاوية وتتخذ فراشاً! قال: إنَّ لنا داراً لها نعمل، وإليها نظعن، والمُخف فيها خير من المثقل.

قال أبو فوزة حُدَير السُّلمي: خرج بعث الصائفة فاكتتب فيه كعب، فلما نفر البعث خرج كعب وهو مريض، وقال: لأن أموت بحرستا أحَبُّ إليَّ من أن أموت بدمشق، ولأن أموت بدومة أحب إليَّ من أن أموت بحرستا، وهكذا قدماً في سبيل الله. قال: فمضى فلما كان بفجٍّ معلولا، قلت: أخبرني. قال: شغلتني نفسي. قلت: أخبرني. قال: سيقتل رجل يضيء دمه لأهل السماء. ومضينا حتى إذا كنَّا بحمص توفي بها، فدفنَّاه هناك بين رُبَيْويات[2] بأرض حمص. ومضى البعث، فلم يقفل حتى قتل عثمان.

قال الجُرَيْري: حدثت أنَّ أبا الدرداء ترك الغزو عاماً، فأعطى رجلاً صُرَّةً فيها دراهم فقال: انطلق فإذا رأيت رجلاً يسير من القوم في هيئة بذاذة، فادفعها إليه. قال: ففعل، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم لا تنسى حُدَيراً، فاجعل حُدَيْراً لا ينساك. قال: فرجع إلى أبي الدرداء فأخبره، فقال: ولي النعمة ربها[3].

---

(1) الجُرْموزُ: مرتفع الأعضاد.

(2) وفي موضع آخر ذكرها ابن عساكر في تاريخه، باسم (زيتونات).

(3) مختصر تاريخ ابن عساكر، لابن منظور: (6/ 244).

6. حمَّاد بن مالك الحرستاني:

وهو حماد بن مالك بن بسطام بن درهم أبو مالك الأشجعي الحرستاني، روى عن الأوزاعي وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عبيد بن نفيع، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وسعيد بن بشير، وعبد العزيز بن حصين، وإسماعيل بن عيَّاش، روى عنه أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الدمشقي، ويزيد بن محمد بن عبد الصمد، وهشام بن عمار، ويعقوب بن سفيان، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، ومات سنة 128هـ وهو من المتقدمين[1].

حدَّث عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس: أنَّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّ أُميِّ أصابها جهد فلم تفطر حتى ماتت، أفأُصلِّي عليها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهب فصلِّ عليها فإنَّ أمك قتلت نفسها»[2].

7. عبد الرحمن بن عُبيد بن نُفيع:

ويُقال له: ابن عبيد بن نعيم العنسي، من أهل حرستا[3].

8. محمد بن عبدالله بن حماد الحرستاني:

وهو محمد بن عبدالله بن حماد ـ وهو أبو مالك ـ ابن مالك بن بسطام بن درهم أبو مالك الأشجعي الحرستاني، وهو من أهل قرية حرستا. وقد روى عن أبيه، بسنده إلى عبد الرحمن بن عبيد بن نُفيع. مات سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة[4].

9. جرير بن عبد الرحمن الحرستاني:

ويُقال له: حُريز بن عتبة. قال جرير: سمعت أبي يحدِّث الأوزاعي وأنا جالس. قال: سمعت القاسم مولى يزيد بن معاوية يحدِّث عن أبي أُمامة. قال: كنت قاعداً مع النبي صلى الله عليه وسلم في رهط، فذكروا الشام ومن فيها من الروم. قال: فقال النبي

---

(1) معجم البلدان: (2/ 241 ـ 242).

(2) مختصر ابن عساكر: (7/ 243).

(3) مختصر ابن عساكر: (14/ 299).

(4) مختصر ابن عساكر: (22/ 271).

صلى الله عليه وسلم: «ستظهرون بالشام وتغلبون عليها وتصيبون من سيف بحرها حصناً يُقالُ له أنفة[1] يبعث الله منه يوم القيامة اثني عشر ألف شهيد». قال: فسمعت الأوزاعي يقول لأبي: لقد سمعت منك حديثاً جيِّداً يا شيخ[2].

10. صالح بن طرفة:

وهو صالح بن طرفة بن أحمد بن محمد بن طرفة بن الكميت أبو أحمد الحرستاني[3].

حدَّث صالح عن أبيه بسَنده عن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ»[4].

11. علي بن أحمد أبو الحسن القرشي الحرستاني:

وهو علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن جعفر أبو الحسن القرشي الحرستاني. قال ابن عساكر: لم يكن الحديث من شأنه، وسمع من أبي عبدالله بن أبي الحديد بعض خبر، وكان خرج إلى بعض البساتين متنزهاً، فاتفق حضوره في البستان وكان فيه أبي عبدالله بن أبي الحديد فقرأ عليه، وكتب سماعه[5].

حدَّث عنه بسنده إلى جابر بن سمرة قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد والنَّاسُ رَافعُوا أيْديهم. فقال: «مالي أراكُم رَافِعي أيديكُم كأنَّها أذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، أُسْكُنُوا فِي الصَّلاةَ»[6].

توفي أبو الحسن القرشي الحرستاني في شوال سنة إحدى وستين وخمس مئة.

---

(1) أنَفة: بلدة صغيرة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ. (معجم البلدان: 1/ 271).

(2) مختصر ابن عساكر: (6/ 39ـ 40).

(3) نفس المصدر السابق: (11/ 31).

(4) أخرجه: البخاري (5530)، ومسلم (1932)، وأبو داود (3802)، والترمذي (1482)، وأحمد (17753).

(5) مختصر ابن عساكر: (17/ 184).

(6) أخرجه مسلم برقم (430)، والنسائي برقم (1183). و(شُمْسٍ): جمع شموس، وهو الفرس يمنع ظهره.

12 . عُتْبَةُ بن عبد الرحمن الحَرَسْتاوي:

روى عتبة بن عبد الرحمن الحرستاوي ، عن أنس بن مالك بالبصرة . أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد والحارثُ بن مالك نائم ؛ قال : فحرَّكه برجله ، قال : ارْفَعْ رأسَك . قال : فرفع رأسه فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟ قال : أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقاً قال : إنَّ لكل حق حقيقة ، فما حقيقةُ ما تقول؟ قال : عَزَفْتُ عن الدنيا ، وأظميتُ نهاري ، وأسهرتُ ليلي ، وكأني أنظرُ إلى عرش ربِّي ، فكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة فيها يتزاوَرُون ، وإلى أهل النار يتعاوَوْن . قال : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنت امرؤٌ نوَّر الله قلبَه ؛ عرفْتَ فالزَمْ»[1] .

13 . أبو محمد الحرستاني:

وهو عبد السلام بن عبد الرحمن بن طُليس الحرستاني . روى عن الحافظ أبي قاسم علي بن الحسن الدمشقي .

14 . سلمة بن صالح العنبسي الحرستاني:

كانت له عناية بالحديث . وروى عن أبي جرير المدني عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال : عَمَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الرحمن بن عوف بفناء بيتي هذا ، وتَرَكَ من عمامته مثلَ ورقِ العُشَراء ، ثم قال : «رأيتُ أكثر من رأيتُ من المَلائكة مُعْتَمِّين»[2] .

15 . عبدالله بن خليل بن أبي الحسن الحرستاني:

وهو ابن طاهر بن محمد بن خليل بن عبد الرحمن التقي أبو عبد الرحمن الحرستاني ثم الدمشقي ثم الصالحي الحنبلي المؤدب . ولد سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، واسمع الكثير بن الشرف بن الحافظ ، وأبي بكر بن الرضى ، والمزِّي ، ومحمد بن كامل بن تمام ، وابن طرفان ، ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم ، وزينب بنت الكحال ، وآخرين . ومِمَّا

---

(1) مختصر ابن عساكر : (16/ 65 ـ 66) .

(2) مختصر ابن عساكر : (10/ 82) .

سمعه ابن سخنام، وابو بكر بن عنتر، وعبدالله بن أبي التائب، وفارس بن أبي فراس، والبرزالي، والذهبي، وعمر بن عبد العزيز بن هلال، والبرهان إبراهيم بن عمر الجعبري، وأحمد بن محمد بن جبارة، وعبدالله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن نعمة، وابن القريشة، وأحمد بن شيبان بن حمزة، وزينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام، وأسماء ابنته صصرى، وعائشة بنت مسلم، وشرف خاتون بنت الفاضلي، وفاطمة بنت عبد الرحمن الدبهي، وطائفة كبيرة. وحدَّث وقُرأ عليه أشياء، وروى عن كثير[1].

16. طرفة بن أحمد الحرستاني:

وهو طرفة بن أحمد بن محمد بن طرفة بن الكميت أبو صالح الحرستاني الماسح حدَّث عن عبد الوهاب الكلابي بسنده عن محمود بن الربيع قال: عقلتُ مجَّةً مَجَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي من دلو معلَّقة في دارنا.

قال محمد: فحدثني عتبان بن مالك قال:

قلت: يا رسول الله، إن بصري قد ساء، وإن الأمطار إذا اشتدت، وسال الوادي حال بيني وبين الصلاة في مسجد قومي. فلو صليتَ في منزلي مكاناً اتخذه مصلًّى؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم». فغدا عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر، فاستأذنا فأذنت لهما، فما جلس حتى قال: «أين تحب أن تصلي من منزلك»؟ فأشرت له إلى ناحية، فتقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصففنا خلفه فصلَّى، وحبَسْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خزيرة صنعناها له.

توفي طرفة بن أحمد الحرستاني سنة خمس وأربعين وأربع مئة[2].

17. عبد الرحمن بن عبدالله بن خليل الحرستاني:

هو ابن أبي الحسن بن طاهر الدين بن أبي محمد الحرستاني ثم الصالحي، ولد في شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. سمع من أبي محمد بن القيم، والحافظ أبي بكر

---

(1) الضوء اللامع: (5/ 18).

(2) مختصر ابن عساكر: (11/ 174 ـ 175).

محمد بن عبدالله بن المحب الصامت الأول والثاني من حديث عبدالله بن هاشم الطوسي، تخريج زاهر بن طاهر عن شيوخه، ومن ابن القيم غير ذلك. وحدَّث وسمع منه الفضلاء، وقرأ عليه شيوخ عصره، وقد ذكره المقريزي في عقوده.

18. ابن أبي كثير الجذامي الحرستاني:

ولاَّه سليمان بن عبد الملك على غازية البحر، وكان يعرف بكثرة العلم.

19. شرف الدين التنوخي:

وهو خطيب حرستا، إمام فاضل، ومدرِّس على المذهب الشافعي[1].

20. أحمد الحرستاني المجذوب:

وهو أحد خلفاء الشيخ سعد الدين الجباوي[2]، وتخلف لولده الشيخ محمد، وكان يُربِّي شعر رأسه وحلقه آخراً، وكان يخلف الشيخ بحلقة الجامع إذا لم يحضر، واستخلفه الشيخ محمد الجباوي مكانه غير مرَّة حين سافر للحج ولزيارة بيت المقدس. وكان يتردَّد إلى الشيخ إبراهيم أخي الشيخ محمد، بل كان يميل إليه أكثر من أخيه. وكان يُطلق لسانه في الفقراء، إلاَّ أنَّه كان له نورانية، وكان شافعي المذهب، مات في حدود سنة ثلاث وعشرين بعد الألف بقرية حرستا[3]، رحمه الله تعالى.

21. أحمد الحرستاني المتفقِّه:

أصله من بلدة حرستا، وهو شافعي المذهب، كان رجلاً صالحاً، وملازماً للشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس العيشاوي، وكان الشيخ يثني على فهمه وكان خاملاً في نفسه، وحصل له ضعف في بصره. مات يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف[4].

---

(1) غوطة دمشق، محمد كرد علي: ص 120.

(2) هو سعد الدين بن محمد الجباوي الدمشقي الشافعي، شيخ الطريقة السعدية بدمشق، تولى المشيخة بعد أخيه محمد، توفي سنة 1036هـ/ 1626م. تراجم الأعيان: (2/ 235)، وخلاصة الأثر: (2/ 208).

(3) لُطف السمر وقطف الثمر، نجم الدين الغزي الدمشقي: (1/ 329 ـ 330).

(4) لطف السمر وقطف الثمر: (1/ 331).

22. أحمد الحرستي:

أحمد بن أحمد بن محمد بن مصطفى الحنفي الحرستي، ثم الدمشقي، الشيخ العالم الفقيه الفرضي الحيسوب الفاضل. كان أحد الأفاضل والفقهاء المفوه بهم والبارعين في علم الفرائض والحساب.

ولد سنة أربعين وألف، وقرأ على المشايخ وعلماء عصره، كالعلاَّمة الفَرَضي الشيخ كمال الدين بن يحيى الدمشقي. واشتغل عليه في علم الفرائض والحساب وقراءة كتبها، كالترتيب، والياسمينية، ومرشدة الطلاب. ولازمه مدة تزيد على خمس عشرة سنة، وأجازه في سنة سبعين وألف. ولازم الشيخ إسماعيل الحائك المفتي، وقرأ عليه، وتزوج بابنته، وصار عنده كاتب الفتوى. وعند المولى علي العمادي المفتي أيضاً. وله رسالتين في علم الفرائض والحساب وهما: (الكواكب المضيَّة في فرائض الحنفية) و(المنح السنية في فرائض الحنفية). وبالجملة فقد كان عالماً فرضياً.

وكانت وفاته في سنة خمس عشرة ومائة وألف، ودُفن بالروضة في تربة باب الصغير بدمشق، ووالده الشيخ أحمد كان من الأفاضل والفقهاء الصالحين، وجيهاً مقبولاً. استقام على أسئلة الفتوى مدة عمره عند بني العمادي في دمشق، وخلَّف أولاداً ذكوراً، وأنجبهم الشيخ أسعد، وكانت وفاته في يوم الجمعة ثاني وعشرين ربيع الأول، سنة أربع وستين ومائة وألف[1].

23. أسعد الحرستي:

هو أسعد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن مصطفى الحرستي الأصل، ثم الدمشقي. الشريف لأمه، الذكي المتفوق الشيخ الفاضل الكامل الفقيه الفرضي البارع. كان دمث الأخلاق، له يد طائلة في المسائل الفقهية، وله مشاركة في غيرها من العلوم.

قرأ على العلماء وحصَّل، وتخرج على يد العالم الشيخ علي التركماني، وقرأ عليه وصار كاتب الفتوى عند المفتي حامد العمادي، ثم عند المرادي.

---

(1) سلكُ الدُّرر، محمد خليل المرادي: (1/ 95).

وأمَّا والده فهو من الأفاضل الفقهاء الفرضيين. ولجدِّه رسالتين ألَّفهما في الفرائض وكان قرأ في هذا الفن على العالم الشيخ كمال الدين بن يحيى الفرضي الدمشقي، المتوفى في سنة ثمان وثمانين وألف.

وصارَ أسعد الحرستاني في آخر أمره من الفقهاء البارعين.

وذكر محمد المرادي أنَّ والد أسعد كان يتغضَّب عليه، فلذلك لم يبدر قمر حظِّه في سماء الإشراق، ولم يزل يتجرع من دهره المصائب بدهاق.

وأمَّا وظائفه فكانت كثيرة، منها: إمامة السنانية وغيرها، ولم يزل على حالته إلى أن مات. وكانت وفاته في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف عن نَيف وخمسين سنة[1].

24. زين الدين الحرستاني:

هو زينُ الدين محمد بن عبد الغني بن عبد الكافي الأنصاري الذَّهبيّ بن الحرستانيّ المعروف بالنَّحوي. قال الذهبي: «دَيّنٌ متودّدٌ» توفي سنة (699هـ) وعمره (75 سنة)[2].

25. محمد بن أحمد الحرستاني:

هو محمد بن أحمد بن علي الحرستاني الدمشقي، الكاتب الشيخ الصالح الزاهد القانع العارف بالله تعالى، مولده بحرستا سنة (936هـ)، كان يكتب المصاحف ويقتاتُ من أجرة كتابته، كتبَ نحو سبعين مُصْحفاً، وكتبَ أشياء كثيرة من كُتُب الفقه والتصوف، وكتبَ الفتوحات المكية، وحجَّ سنة (991هـ) وجاور بالمدينة، ومات بها سنة (992هـ)، ودُفنَ بقربِ عثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

26. الشيخ أبو النصر الخطيب:

هو محمد ناصر الدين أبو النصر بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، قاضٍ شرعي، خطيب المسجد الأموي بدمشق ومدرّس فيه، ولد في 23 جمادى الثانية سنة 1253هـ وقرأ القرآن الكريم مبكراً فختمه وهو ابن سبع سنين، ثم حفظ كثيراً من

---

(1) سلك الدرر: (1/ 254 ـ 255).

(2) معجم الشيوخ للذهبي: (2/ 219 ـ 220)، العبر: (5/ 403).

(3) انظر الكواكب السائرة: (3/ 48).

المتون ما يزيد على خمسة عشر ألف بيت وحفظ شواهد ابن عقيل، ومع كل بيت إعرابه وشاهده النحوي ونسبته، ثم اشتغل بقراءة الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان. ولمَّا بلغ اثنتي عشرة سنة بدأ بالخطابة ثم أخذ يعلِّم الطلبة النحو والصرف، ثم حفظ عشرة آلاف حديث بأسانيدها، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ علي اليشرطي بعكا. ولقد انتقل بعياله إلى قرية حرستا، فسار بأهلها سيرةً حسنة، يُصلِّي بهم ويخطب لهم ويعظهم، ويعلِّمهم ما يحتاجون إليه.

سافر سنة 1270هـ لأداء فريضة الحج وجاور في المدينة المنورة، ولازم علماءها، ثم سافر إلى الأزهر وأخذ يقرأ على أيدي الشيخ إبراهيم السقا.

وبعد رجوعه إلى حرستا سافر إلى حلب وعُيِّن مُدرِّساً في المدرسة الشيبانية، ثم غادرها إلى طرابلس الشام فسمع من الشيخ محمد بن خليل القاوقجي، وبعدها عاد إلى دمشق وحفظ القرآن الكريم.

رغب في تولي إفتاء الشام بعد وفاة الشيخ محمد المنيني فلم يقدَّر له ذلك. رحل إلى الأستانة مراراً وتعرَّف بعلمائها ووزرائها. وتولَّى القضاء الشرعي نحواً من عشرين سنة في مناطق عدة منها: النبك، وبيروت، ويافا، وكان من عادته إذا تولَّى القضاء في بلدة أن يخطب في مسجدها ويدرِّس. وبعد ذلك استقرَّ في المسجد الأموي بدمشق، فألقى دروساً عامة خلال شهر رمضان المبارك.

ألَّف كتاباً سمَّاه (الكنز الفريد في علو الأسانيد). وأجازه والده وجميع مشايخه الذين روى عنهم. توفي في 4 ربيع الثاني سنة 1324هـ وذلك بعد أن خطب الجمعة في المسجد الأموي وخرج إلى قرية (تل منين) لحضور أحد الأعراس فيها، وفي اليوم التالي بعد صلاة العشاء أصابه ألم شديد في قلبه ومات بعد ساعة، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق وأولاده استقروا في حرستا. منهم الشيخ القاضي أحمد بدوي الخطيب الملقَّب (بشيخ العرب)، حيث كان خطيباً لحرستا وقاضياً[1].

---

(1) انظر ترجمة الشيخ أبو النصر الخطيب في المراجع التالية:
(أعيان دمشق، محمد جميل الشطي: ص 421)، و(منتخبات التواريخ لدمشق، الحصني: 2/ 710).

27. الشيخ أحمد العاني:

هو أحمد بن محيي الدين بن محمد عيد الشهير بالعاني الدمشقي الحرستاني الشافعي الحسيني. كان عالماً تقياً وجيهاً سخياً. ولد سنة 1280هـ، وتوفي والده العلاَّمة وهو دون سن البلوغ، فنشأ يتيماً موفقاً، وتلقَّى العلوم العقلية والنقلية عن أكابر علماء عصره كالشيخ سليم العطار الدمشقي، والشيخ بكري العطار، وصهره الشيخ بدر الدين المغربي الحسني وغيرهم كثير. ثم اشتغل بالزراعة في بلدة حرستا، وكان بيته في دمشق وحرستا مقصوداً لكل طالب، وهو كالحمل لطفاً وكالأسَد قوةً، حتى كان يَحمل بين يديه خمسة عشر مدّ قمح، وإذا غضب لا يستطيع أحدٌ أن يقابله، وكان كريم النفس يعطفُ على أصحابه وغيرهم، ولم يزل على حالته إلى أن توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة وألَف للهجرة، ودفن في مقبرة الذهبية إلى جانب قبر والده[1].

28. الشيخ أحمد حمامة:

هو أحمد بن حسين حمامة ولد في حرستا سنة 1904م. وهو من أسرة فقيرة، عمل مع والده في تربية المواشي، وحراثة الأرض بواسطة المحراث القديم (الفدان)، وكان يتصف ببر الوالدين والإحسان إليهما، وكان يشتهر بالكرم والشجاعة حتى نهاية عمره.

ولَمَّا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة من عمره بدأ بالتردد على مشايخ عصره كي يستمع منهم، ويتعلم أمور دينه، وكان في بداية أمره أميّاً لا يقرأ ولا يكتب.

وفي بداية رحلته العلمية والدينية تلقَّى العلوم الشرعية عند الشيخ محمد أمين الزملكاني في دمشق. وكان لا يسمع بعالم إلاَّ وشدَّ الرحال إليه. فقد سمع من الشيخ عبد الحميد الضبع في بلدة (القابون) فذهب إليه ينهل من علومه. وبعد عدَّة دروس في مسجد القابون طلب الشيخ عبد الحميد من تلاميذه حفظ سورة «الروم»، و«السجدة»، و«يسن» فحفظهم الشيخ أحمد بأيام قليلة على ضوء الفانوس القديم.

ولَمَّا تبيَّن للشيخ عبد الحميد إقبال الشيخ أحمد على حفظ تلك السور القرآنية وضع يده على صدره وقال: «يا رب افتح عليه فتوح العارفين». فاستجاب الله تعالى دعاءه ومن ذلك الحين تعلَّق قلب الشيخ أحمد بالعلوم الدِّينية. فكان يصلِّي الفجر في مسجد

(1) منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب الحصني: (2/ 879)، وأعيان دمشق، الشطي: ص 381.

حرستا الكبير ثم يذهب مشياً على الأقدام إلى دمشق كي يحضر درس الشيخ صالح العقّاد الملقب بالشافعي الصغير، وكان مقر الدرس في بيت الشيخ صالح بحي الشيخ محيي الدين، ثم يعود إلى البلدة ويصلي العصر إماماً بالمسجد الكبير. ثم يذهب بعدها إلى مسجد النورية بدمشق ليحضر درس الشيخ صالح العقاد.

وأمَّا علومه في اللغة العربية فقد تلقَّاها عند الشيخ محمود الحبَّال بدمشق. وعلوم القرآن الكريم عند الشيخ أبي الحسن الكردي. وبعد فترة وجيزة من الزمن أصبح مفتياً لحرستا وذلك لكثرة تبحّره بالفقه وعلومه.

وأما بالنسبة لمذهبه فكان شافعياً. ومن صفاته الحميدة فإنَّه يكره الشهرة، ويعمل بجدّ ونشاط كيما يعلِّم أهل حرستا أمور دينهم. وكثيراً ما كان يحثّ الشباب للصلاة في المسجد.

خرَّج على يديه كثيراً من أئمة مساجد حرستا، وله ذكر طيِّب في البلدة، إذ يُذكر له عدة كرامات صادقة يشهدها بعض الحرستانيين ممن عاصره ورآه توفي سنة 1967م، وكانت جنازته تشمل معظم أهل البلدة وغيرها من البلاد المجاورة رحمه الله تعالى.

29. الشيخ عبد الرحمن العمري:

ولد في دمشق بحي الحمراوي القريب من المسجد الأموي سنة 1322هـ، وأبوه هو الشيخ مصطفى بن صادق العمري النقشبندي أمين فتوى الشام في عصره. كان منذ صغره ذكياً محبّاً للعلم والعلماء، حيث بدأ بنظم الشعر وعمره لم يتجاوز عشر سنوات. وانكبَّ على مطالعة كتب والده، وعلى حضور مجالس العلم في المسجد الأموي وخاصة دروس المحدِّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني، فكان يحفظ ما يسمع بشكل يدعو للدهشة والإعجاب. وبدأ يتردَّد بصحبة والده وإخوته أحياناً على مجالس الذكر في أماكن متفرقة من دمشق، وجالس أصحاب الطرق الصوفية: القادرية والرفاعية والشاذلية والمولوية، واستمر ينتقل كالفراش من بستان إلى آخر لينهل من معين المعرفة والعلم حتى أكرمه الله تعالى ووفَّقه لمعرفة الشيخ محمد أمين الزملكاني.

وأمَّا دروسه العلمية فقد تلقاها في مدرسة دار الحديث الأشرفية بالعصرونية وهناك التقى بالشيخ هاشم الخطيب، والشيخ علي الدقر، والشيخ محمود الرنكوسي وغيرهم كثير.

وبعد مرور عدة سنوات ذهب بصحبة والده وأشقاءه إلى مقام الشيخ خالد ذي الجناحين حيث أخذ الطريقة النقشبندية بحضرة الشيخ الزملكاني، واشتغل بالأوراد والأذكار. وبعد خروجه من خلوته ذهب إلى منطقة القلمون وأقام ببلدة عسال الورد لعدة سنوات، حيث قام بنشر العلوم الشرعية وتعليم القرآن الكريم للأطفال والكبار.

ومن صفاته: كثير الصمت، ونظره دائماً إلى الأرض، ولا يتكلم بحضور العلماء إلاَّ إذا طُلب منه ذلك. وكان متوسط القامة، عريض المنكبين، قوي البنية، أبيض اللون، أشقر الشعر، جبينه عريض ناصع. وكان يضع على رأسه قلنسوة تحتها عمامة بيضاء.

وكان يتشبَّه في كل صفاته وأخلاقه الحسنة بالسلف الصالح من الأولياء والعلماء.

وفي حرستا قام بتعليم الأطفال القرآن الكريم يوم وجود (الكتَّاب) وقبل انتشار المدارس. وقد بذل نفسه في سبيل نشر العلوم الشرعية وتوعية الناس في أمور دينهم مع محافظته التامة على الأوراد والأذكار.

ومن ورعه: قناعته بالقليل وتركه المشبوه ولو كان كثيراً، ولا يتسرع في الحكم بالأمور، وكان يمسك لسانه عن الخوض في الباطل وفي الغيبة والنميمة، ويكره ذكر الفاسقين والضالين في مجالس الصالحين، ويبالغ في الوضوء ويحرص على استعمال السواك عند كل صلاة.

وفي سنة 1350هـ كان خطيباً للمسجد الكبير في حرستا، ثم خطيباً بعدها لمسجد المحاسنة وإماماً أيضاً. حتى توفَّاه الله تعالى سنة 1402هـ. وقد رثاه أبو عبد الغفور حامد بدوي فقال:

زر قبر هاد في الورى كي تغنما ... واقرأ السلام عليه من رب السما

وقل السلام عليك منِّي ما بدى ... ضوء النهار كذا وليلٌ أظلما

هذا هو العمري من بلغ السها ... شرفاً وزاد على النجوم تقدما

شهدت به أهل البصائر والنهى ... وبذكره سمع الهداة ترنما

أكرم به قد فارق الدنيا وما ... يبقى سوى الحي الذي رفع السما[1]

---

(1) ترجمة الشيخ عبد الرحمن العمري، أحمد عبد الواحد الدمشقي: ص 25.

الفصل الثاني
القضـــاة

لم تخلُ حرستا في القديم من العظماء، الذيـن نبغـوا فيـها ودخلـوا مـدارس دمشـق القديمة يدرِّسون فيها ويلقون دروس الفقه والحديث. فقد أخرجت البلدة في القـرن السـابع للهجرة أعظم القضاة في ذلـك العصـر، كأمثـال القـاضي جمـال الديـن الأنصـاري، وابنـه خطيب دمشق محيي الدين أبو حامد الحرستاني، المدرِّس والمفتي، وكأنَّ العلم تسلسل فـي بيت القاضي جمال الدين الأنصاري الحرستاني.

ومن علماء حرستا ما غلب عليه الحديث أكـثر مـن الفقـه، ومنـهم مـن غلبـت عليـه الرواية أكثر من الدراية. ومنهم من جمع بينهما. فقد كان القرآن الكريـم فـي ذلـك العصـر شائعاً حفظه في أهل حرستا عند ظهور الأنصاري وأولاده وأحفاده من بعدهم.

إن علماء حرستا مشوا على آثار علمـاء دمشـق العاصمـة فـي تلقِّـي العلـوم، إذ كـان لعلم الحديث أكبر قسط من عنايتهم، وليس أدل على ذلك من تـأليف الحـافظ ابـن عسـاكر كتاب «روايات وحديث جماعة من أهل حرستا» وغيرها من قرى الغوطة.

ولنبدأ رحلتنا هذه أولاً في الحديث عن القاضي جمال الديـن الأنصـاري، ثـم غيره من قضاة حرستا.

1. القاضي جمال الدين الأنصاري الحرستاني:

هو القـاضي أبـو القاسـم جمـال الديـن عبـد الصمـد بـن محمـد بـن أبـي الفضـل بـن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبـادي الفقيـه الشـافعي الشـهير بـابن الحرسـتاني ولد في أحد الربيعين سنة عشرين وخمسمائة، وسمع الكثـير، وحـدَّث وبـرع فـي المذهـب الشافعي وأفتى، ودرَّس، وطال عمره، وناب في القضاء بدمشق عـن ابـن أبـي عصـرون، وكان إماماً فقيهاً عارفاً ورعاً صالحاً، محمود الأحكام، كبير القدر، حَسَنُ الصـورة. وقـد درَّس بالمدرسة العزيزية بدمشق بعد محيي الدين بن الزكي لَمَّا عزل عن القضاء.

قال أبو شامة: حدَّثني الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنَّـه لـم يَـرَ أفقـه منـه، وعليـه ابتدأ اشتغاله، ثم صحب فخر الدين بن عساكر فسأله عنهما فرجَّح ابن الحرسـتاني. توفـي

في ذي الحجة سنة أربع عشرة وستمائة، وهو ابن خمس وتسعين سنة، ودفن بسفح جبل قاسيون.

قال الصفدي: وفيه يقول ابن عنين:

تبـــاً لحكمـــك لا حُرســـتا ... هـــل أنـــت إلاَّ مـــن حرســـتا

اســـم تجمَّـــع مـــن حـــر ... واســـتٍ فصـــار إذن حرســـتا

وناهيك من يثني عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا الثناء. فكان يحفظ «الوسيط» للغزالي، ولي القضاء نيابةً بدمشق أيام شرف الدين بن أبي عصرون، ولمَّا أضرَّ شرف الدين بقي على نيابته مع ابنه محيي الدين، فلمَّا عزل وولي محيي الدين بن الزكي وهو شاب انقطع ابن الحرستاني في بيته إلى أن ولاَّه الملك العادل قضاء القضاة، وأخذ منه مدرستيه العزيزية والتقوية محيي الدين، واعتنى به العادل عناية كثيرة إلى الغاية بحيث أنَّه جهَّز له ما يفرش تحته في مجلس الحكم لضعفه وكبره وما يستند إليه، وكان يجلس للحكم بمدرسة المجاهدية، وناب بها عنه ابنه عماد الدين عبد الكريم الحرستاني، وكان يجلس بين يديه، فإذا قام يستند مكانه. ثم إنَّه منعه ذلك لشيء بلغه عنه. وناب عنه أيضاً أكابر الشيوخ والقضاة يومئذ: شهاب الدين بن الشيرازي، وكان يجلس قبالته في إيوان المجاهدية، وشمس الدين بن سني الدولة، وشرف الدين بن الموصلي الحنفي بمجلس المحراب بها، وبقي في القضاء نحواً من سنتين وسبعة أشهر، ولمَّا توفي كانت جنازته حافلة عظيمة، وكان له يوم توفي خمس وتسعون سنة. وفيه قال شهاب الدين فتيان الشاغوري:

يا من تدرَّع في حمل الحمول ويا ... معانق الهمّ في سرّ وإعلان

لا تيئسن روح من عادى لدى ما به ... قاضي القضاة الجمال بن الحرستاني

يعني أنه غريب ولاية قاضي القضاة من هو في هذا السن، على أنه امتنع من الولاية لما طُلب لها فألزمه العادل بها، وكان عادلاً في ولايته صارماً، وكان عديم الإلتفات إلى شفاعة الأكابر عنده.

قال سبط ابن الجوزي: اتفق أهل دمشق على أنَّه ما فاته صلاة بجامع دمشق في جماعة، إلاَّ إذا كان مريضاً، ينزل في الحويرة وهو منزله قبلي الجامع من سلّم طويل،

فيصلّي ويعود إلى داره، وكان مقتصداً في ثيابه ومعيشته، ولم يدع أحداً من غلمان القضاة يمشي معه.

وقيل: إن الملك العادل كتب لبعض خواصه كتاباً يوصيه به في خصومة بينه وبين آخر، فجاء إليه الكتاب، فقال: أي شيء فيه؟ قال: وصية بي! قال: أحضر خصمك، فأحضره والكتاب بيده لم يفتحه، وادَّعى على الرجل فظهر الحقُّ لغريمه فقضى عليه، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى الكتاب لحامله، وقال: كتاب الله تعالى قد قضى وحكم على هذا الكتاب، فمضى الرجل إلى العادل فبكى بين يديه وأخبره بما قال، فقال العادل: صدق، كتاب الله أولى من كتابي.

وكان القاضي جمال الدين قد شارك الحافظ أبا القاسم بن عساكر في كثير من مشايخه الدمشقية سماعاً، وفي غيرهم إجازةً. وسمع بدمشق علي بن المسلم، وعبد الكريم بن حمزة، وعلي بن أحمد بن قيس المالكي، وسمع بحلب علي بن سليمان المرادي أكثر سنن البيهقي، وكان آخر من حدَّث عن عبد الكريم الحداد، وجمال الإسلام علي بن المسلم سماعاً، وأجاز له أبو عبدالله الفراوي، وهبة الله بن مميل، وقاضي المارستان، وابن السمرقندي، والأنماطي، وزاهر بن طاهر الشحامي، وأبو المعالي التارسي وعبد المنعم بن أبي القاسم القشيري[1].

2. الإمام عبد الكريم الحرستاني:

هو عبد الكريم بن محمد بن أبي الفضل بن محمد بن عبد الواحد الفقيه أبو الفضائل الأنصاري الحرستاني الدمشقي الدار، الشافعي المذهب، أخو القاضي جمال الدين عبد الصمد، ولد سنة 517هـ، وولي التدريس في المدرسة الأمينية. وقد سمع على جمال الإسلام السلمي، وأبي الحسن بن قبيس. ورحل إلى بغداد فسمع درس أبي منصور ابن الرزاز، وسمع بخراسان درس محمد بن يحيى، وأعاد بالأمينية عن أبي عصرون توفي في شهر رمضان سنة 561هـ، وقد أهمله الإمام الذهبي في كتابه «العبر»، واستنابه ابن أبي عصرون بالزاوية الغربية بجامع دمشق، وضمَّ إليه المدرسة الأمينية[2].

---

(1) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي: (1/ 389).

(2) نفس المصدر السابق: (1/ 203).

3. الإمام القاضي عماد الدين الحرستاني:

هو الشيخ الإمام العالم القاضي خطيب الشام عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم ابن قاضي القضاة جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الخزرجي الدمشقي ابن الحرستاني، ولد في شهر رجب سنة 577هـ، وهو شيخ الإمام النووي، ولي التدريس في دار الحديث الأشرفية.

سمع من والده، ومن الخشوعي، ومن البهاء بن عساكر، وحنبل، وابن طبرزد وغيرهم كثير. وقد تهاون أبوه وفوّته السماع من يحيى الثقفي وطبقته، واشتغل على أبيه في المذهب وبرع فيه، وتقدَّم وأفتى، وناظر ودرس وناب عن أبيه في الحكم، واشتغل بالقضاء بعد أبيه مدةً طويلةً، ثم عزل، ودرَّس بالغزالية مدةً طويلةً، وباشر الخطابة مدةً أيضاً.

روى عنه الدمياطي، وبرهان الدين الإسكندري، وابن الخباز، وابن الزراد. قال الذهبي: «وكان من كبار الأئمة، وشيوخ العلم مع التواضع والديانة وحسن السمت والتجمل، وولي مشيخة الأشرفية بعد ابن الصلاح فباشرها إلى أن توفي بدار الخطابة في تاسع عشرين جمادى الأولى سنة اثنين وستين وستمائة وصُلّي عليه بجامع دمشق ودفن عند أبيه بسفح قاسيون».

ثم ولي دار الحديث بعده شهاب الدين أبو شامة.

وسمع من القاضي عماد الدين الحرستاني، شمس الدين بن الكمال أبو عبدالله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي. وقد سمع منه حضوراً الحديث فجمع وخرَّج، مع ما تلقَّاه منه من الدين المتين والورع والعبادة.

ولَمّا ولي الذهبي التدريس بدار الحديث السكرية أجاز له بالاستدعاء ابن الحرستاني وخَلْقٌ كثير.

ولَّما تولى الحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق مشيخة دار الحديث النورية سمع منه بدمشق الخطيب عماد الدين ابن الحرستاني.

وسمع الحديث من ابن الحرستاني، المحدِّث جمال الدين بن الصابوني محمد بن علي بن محمود بن أحمد الحافظ أبو حامد بن الشيخ علم الدين المحمودي شيخ دار الحديث النورية سنة (604 ـ 680هـ).

وفي سنة 628هـ تولَّى عماد الدين الحرستاني التدريس بالمدرسة التقوية. وقال ابن شداد: ثم عادت إلى القاضي محيي الدين أبي الفضل يحيى الحرستاني ثم إلى ولده عماد الدين، ثم من بعده إلى أخيه علاء الدين أحمد الحرستاني.

وأما في المدرسة الغزالية فقد درَّس بها أيضاً عماد الدين بن الحرستاني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح، ثم ولده محيي الدين الحرستاني (614 ـ 683هـ). قال الصفدي: محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الخطيب محيي الدين أبو حامد بن القاضي الخطيب عماد الدين بن الحرستاني الأنصاري الشافعي خطيب دمشق وابن خطيبها. وقد أجاز له جدَّه المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي، وبنت الشغري، وسمع من زين الأمناء، وابن الصباح، وابن الزبيدي، وابن ماسويه، وابن الليثي، والعلم الصابوني، والفخر الأربلي، وأبي القاسم بن صصرى، والفخر بن الشيرجي. وسمع بالقاهرة من عبد الرحيم بن الطفيل، وحدَّث بالصحيح وغيره.

أقام بصهيون مدة حياة أبيه، وولي الخطابة بعد موت أبيه، ودرَّس بالغزالية والمجاهدية وأفتى وأجاد، وكان متصوفاً حسن الديانة، وله نظم، وكان طيب الصوت، على خطبته روح، روى عنه ابن الخباز، وابن العطار، وابن البرزالي، وأجاز الشيخ شمس الدين البرزالي مروياته، توفي سنة اثنين وثمانين وستمائة، بعد أن كان مدرِّساً بالمدرسة الفتحية، ثم من بعده ولده محيي الدين[1].

4. الكمال بن الحرستاني:

هو عبد الجبار بن عبد الغني بن علي بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد بن عبد اللطيف الأنصاري كمال الدين أبو محمد بن الحرستاني، الفقيه، المفتي الشافعي درَّس بالمدرسة الأكزية بدمشق. مولده سنة تسع وأربعين وستمائة. سمع أبا القاسم الحافظ، وأبا سعد بن أبي عصرون، وأجاز له خطيب الموصل، والحافظ أبو موسى المديني.

وسمع منه البرزالي، وخرَّج له جزءاً، وأبو حامد ابن الصابوني، وطائفة من أهل العلم.

---

(1) البداية والنهاية: (13/ 154)، والدارس في تاريخ المدارس: (1/ 22).

وقال ابن الحاجب: درَّس بالكلاسة والأكزية، وهو من بيت طليس توفي في شعبان[1].

ودرَّس الكمال الحرستاني أيضاً بالمدرسة الطرخانية، وكان ينوب عنه شرف الدين ابن فلوس أحد مشايخ الحنفية.

وسمع من الكمال الحرستاني، شرف الدين حسن المقدسي الذي درَّس بمدرسة الجوزية بدمشق. وسمع منه أيضاً، المحدِّث الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي وقد سمع من ابن الحرستاني حضوراً فأخذ عنه الحديث وجمع وخرَّج مع تمسكه بالدين المتين والورع والعبادة وذلك في المدرسة الضيائية المحمدية عندما كان ابن الحرستاني يُدرِّس فيها.

وعندما انتقل الكمال الحرستاني إلى المدرسة الدويرية سمع منه الجمال بن الحموي أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن علي الدمشقي. وسمع منه، الإمام نجم الدين أبو الحسن القرشي الأسدي الزبيدي الدمشقي.

5. يحيى بن عماد الدين الحرستاني:

وهو خطيب دمشق، ومدرِّس المدرسة الغزالية، كان فاضلاً بارعاً، أفتى ودرَّس، وولي الخطابة والغزالية بعد أبيه، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير، توفي في جمادى الآخرة عن (68 سنة)، ودفن بقاسيون[2].

6. أبو القاسم الحرستاني:

أبو القاسم عبد الصمد بن عبد الكريم بن جمال الدين بن الحرستاني الشافعي، كان صالحاً، زاهداً، متواضعاً، توفي في سنة (694هـ)، وله (75 سنة)[3].

النِّساء الفاضلات:

أنجبت حرستا من النساء الفاضلات المحسنات على مرّ الأيام والعصور الكثير منهن اللواتي تألَّقن في دنيا العلم والأدب والمعرفة:

---

(1) الدارس في تاريخ المدارس: (1/ 167).

(2) البداية والنهاية: (13/ 354).

(3) شذرات الذهب: (7/ 745).

1. زينب بنت محمد الحرستاني:

وهي زينب بنت محمد بن عبد الكريم الحرستاني القاضي الدمشقي، وهي محدِّثة أجاز لها الأعزُّ بن فضائل بن العليق، ويحيى بن أبي القاسم بن القميرة، وتوفيت في القرن الثامن الهجري.

2. زينب بنت محيي الدين الحرستاني:

وهي محدِّثة أيضاً، سُمِعَ عليها حوالي سنة (722هـ) جميع الجزء من حديث الحسن بن شاذان بإجازتها من ابن العليق، وابن حمزة، وأجازت بدمشق.

3. فاطمة بنت خليل بن علي الحرستاني:

وهي محدِّثة فاضلة، ذات صلاح ودين، أُحضرت على جدِّها لأمِّها عبدالله بن خليل الحرستاني، وعلى عليّ بن أحمد بن محمد المراديِ، والزَّين عمر البالسيّ وحدَّثتْ وسمع عليها السَّخاوي الشَّمائل للترمذي، وقرأت كثيراً من الكتب، وتوفيت بعد سنة (873هـ).

الفصل الثالث
الشـــعـراء

أخرجت حرستا في القرن الماضي عدداً من الشعراء الذين اتصف شعرهم بالعذوبة والرقة والتألق، متأثّرين بمن سبقهم من الشعراء العظام العاشقين للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. فمنهم من اشتهرت قصائده في التوسل والمناجاة، وفي الحكمة والتذكير، ومدح بعض علماء عصرهم وغيرهم من الصالحين. ومنهم من قام بالردِّ على بعض المنكرين والحاسدين من أهل السوء.

وكان شعرهم يتصف بالصدق والتعبير عمَّا يجري حولهم من أحداث وتيارات فتجد في أشعارهم نوعاً من البساطة في الأفكار، والسَّلاسة في الأسلوب فتعطينا تلك الأشعار الملامح الأساسية في مكوِّنات شاعرنا الحرستاني الذي جسَّد القيم والمثل العليا في قصائده، ودعا إلى مزيد من التمسك بالآداب الإسلامية، والأخلاق الكريمة. ومن هؤلاء الشعراء:

1. الشَّاعر القاضي أحمد بدوي الخطيب (شيخ العرب):

قال في رثاء والده الشيخ أبو النصر الخطيب:

بكى العلم إذ تحت الثرى غاب بدره ... وقد طال ندب الجود إذ غاب بحره
تصدَّع ركن الفضل والمجد والعلا ... ولكنما في الخلد شيّد قصره
لقد غاب من آل الرسول غضفر ... وفارقنا علاّمة العصر صدره
وكيف نرى للعلم منزلة نوراً يد ... لنا على نهجه أرخ وقد غاب بدره
سرت إلى جنة الفردوس مبتهجاً ... علاَّمة العلماء الطاهر النسب
بدر المعالي أبو النصر الخطيب ومن ... بنوره كان يزهو منبر الخطب
بموته هدَّ ركن الفضل وآسفا ... والمجد ألبس ثوب الحزن والكرب
والشام من كدر قالت مؤرِّخةً ... قضى الهمام إمام العلم والأدب

وقال في رثاء والده أيضاً:

إليك أبا النصر الخطيب اشتياقنا ... كما اشتاقت الأبناء للوالد البر

إليك أبا النصر الخطيب صحائفاً ... تترجم عن عدل بعدلك منصور
فبات لسان الحال فيها مناديا ... لقد أشرقت شمس العدالة من صور

ومن شعره في الحكمة والرقائق:

قد ادعى الزهد في دنياه إنسان ... وبات وهو عدو السعي كسلان
وقد تزيا بزي الصالحين الناسكين بلا نسك وأضحى ولياً وهو شيطان
وصار يسأل فضل الناس تقذفه ... إلى التسوّل أمصار وبلدان
فذات يوم رأى في العش قبّرة ... صغيرة ما لها حول ولا شان
وأبصر الصقر يسعى بالنشاط ... وفي منقاره من صنوف الحَبِّ ألوان
فصار يطعمها حتى إذا عطشت ... أتى بماء زلال وهو جزلان
فقال في نفسه الدرويشة معتبراً ... يا رب أنت بكل الخلق رحمن
دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
عممت يا رب بالنعمى فلا أحد ... إلاَّ وأنت له في الضعف معوان

وقال في التفكّر بعد الموت:

لقد سأل البدوي في ذات مرة ... حكيماً إليه في المسأل يرجعُ
نرى ما يُصيب المرء بعد وفاته ... النار يمضي أم إلى الخلد يطلعُ
وهل من جحيم فيه تشوى جسومنا ... هناك وفردوس به نتمتَّع
وهل نحن في الأخرى نُسَرُّ ويا تَرى ... هناك كما كنَّا هنا نَتوجَّعُ
فقال له ذاك الحكيم نعم فلا ... تشك بما عن ذلك الأمر تسمعُ

2. الشاعر الشيخ عبد الرحمن العمري:

قال في التضرع والمناجاة:

يا من جميع الخلق في قبضته ... ويدخل من شاء في رحمته
قَدْ قدَّر الأشياء في علمه ... ودبَّر الأكوان في حكمته
سبحانه في ملكه واحد ... قد ذلت الأكوان من عزته

يـــا مـــن يـــروم رضـــا ربـــه ... بـــادر وأســـرع إلـــى خدمتـــه
واخلـــص النيـــة واخشـــى الـــردى ... إذ يحشـــر المـــرء علـــى نيتـــه
وخـــالف النفـــس وكـــن خاضعـــاً ... تنـــل أخـــي الفـــوز فـــي جنتـــه
يـــا ربِّ صلِّـــي دائمـــاً ســـرمداً ... علـــى رســـول اللـــه بـــل صفوتـــه
واختـــم لنـــا بـــالخير يـــا ربنـــا ... عجِّـــل لـــهذا الديـــن فـــي نصرتـــه

وقال في مدح سيد الأكوان وفخر ولد عدنان صلى الله عليه وسلم:

قمـــرٌ علـــى كـــل الخلائـــق ســـيد ... هـــو مصـــدر الأكـــوان وهـــو محمـــد
ثبتـــت شـــريعته علـــى رغـــم العـــدا ... وبمدحـــه يشـــدو الكـــرام وينشـــد
حزنـــا بـــه الشـــرف العظيـــم بملـــة ... مـــن حازهـــا فلـــه النعيـــم الســـرمد
لا يرحـــم اللـــه العبـــاد بدونـــها ... إيـــاك ربـــي نســـتعين ونعبـــد
إن يجحدوا شـمس الضحى وقت الضحى ... ســـفهاً فنـــور محمـــد لا يجحـــد
قـــد جـــاء بـــالقرآن وحـــيٌ مـــنزل ... وهـــو الشـــفاء ومنـــه طـــاب المـــورد

وقال في يوم هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

يـــا نـــازل الغـــار والأعـــداء تنتظـــر ... لا تخشـــى كيـــداً فـــإنَّ الحـــق منتصـــر
خرجـــت تتلـــو وبـــاب الـــدار مزدحـــم ... في خشية منك غاب السمع والبصر
فـــأصبحوا وتـــراب الخـــزي فوقـــهم ... نجـــا الحبيـــب فمـــا أجداهـــم الســـهر
للـــه ســـرتم وعـــين اللـــه تحرســـكم ... إلـــى المدينـــة فيـــها تلتقـــي الزمـــر
لـــو كـــان للمـــال أو للجـــاه قـــد خرجـــوا ... أو للرئاســـة أو للملـــك مـــا انتصـــروا
اللـــه يعلـــم أن القـــوم تســـعدهم ... عقيـــدة ولـــها الأرواح قـــد نـــذروا

وقال في المواعظ والرقائق:

ســـبحان مـــن مـــلأ الوجـــود بفضلـــه ... ولـــه علينـــا دائمـــاً نعَـــمٌ جزيلـــة
لـــو يذكـــر الكفـــار فضـــل إلـــهنا ... عبـــدوه بـــالإخلاص مـــا اختـــاروا بديلـــه
فَـــوِّض أمـــورك للإلـــه موكـــلاً ... نعـــم الوكيـــل وفـــاز مـــن أضحـــى وكيلـــه

يا مدَّعي الإصلاح وهو بلا هدى ... يصف الدواء ونفسه أمست عليلة
ما ضرَّ قلبك غير صحبة فاسق ... كالشمع أحرقه مجاورة الفتيلة
والمرء مع محبوبه يوم اللقاء ... مع كل من يهواه فليختر خليله

وقال في مدح فتاة مؤمنة :

أختاه يا ذات الحجاب تحية ... كم أنت في حجابك رائعة مهولة
تيهي على الدنيا فخاراً وانسجي ... ثوب الإباء وجرجري دوماً ذيوله
وإذا طغى الطوفان فلا تستسلمي ... لبواعث الطوفان واجتنبي سيوله
من روعة القرآن يغرف قلبها ... وبجانب المحراب تحتضن الطفولة
طه الأمين أتى إلينا رحمة ... فهدى العباد وفاز من يهوى سبيله
ربي اصطفاه من سلالة هاشم ... هو فخرهم وبه تشرَّفت القبيلة
قام الكثير معارضاً ومؤيداً ... والنصر جاء له وللفئة القليلة
فئة بطاعة ربها تعلو على ... أعدائها من قبله كانت ذليلة
يا رب صلِّ على الحبيب وآله ... والصحب ما زالت مآثرهم جليلة

وقال في فضل خالد بن الوليد رضي الله عنه :

أتاه أمر أبي حفص فقبله ... كما يقبل آي الله تاليها
واستقبل العزل في إبان سطوته ... ومجده مستريح النفس هاديها
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها ... يوم النزال إذا نادى مناديها
ألقى القياد إلى الجرَّاح ممتثلاً ... وعزَّة النفس لم تحتج حواشيها
وانضم للجند يمشي تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفديها

وقال في الدعوة إلى التمسك بالدين الحق :

ألا انتبهوا يا إخوتي وتراحموا ... لكي تنصروا نصراً عزيزاً وتُرحموا
وكونوا مع الأبرار في كل حالة ... ومن سادتي أهل التقى فتعلموا
هم الأولياء العارفون بربهم ... مجالسهم يا صاح لا شكَّ مغنمُ

كفانا من العصيان يا قوم فارجعوا ... إلى الله مولانا فيعفو ويرحمُ
فإن نحن جاهدنا بمال وأنفس ... وعدنا إلى قرآننا فالتقدمُ

وقال في مدح سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه :

وإذا به لَمَّا اهتدى بمحمد ... يحنو على كلِّ الصِّغار ويُنجدُ
ويمشي ليلاً في المدينة باحثاً ... عن بائس أو جائع لا يرقدُ
لَمَّا رأى تلك العجوز وحولها ... أطفالها وعلى الحجارة تُوقدُ
حمل الدَّقيقَ لهم وأقبلَ مُسْرعاً ... مُتعطِّفاً لصغارها يَتَوَدَّدُ
ذو رحمة بالمؤمنينَ ورأفة ... ذو البأس في صَفِّ القتال مُجاهدُ
هو ساهرٌ في كُلِّ أمْر لازم ... للمؤمنينَ شؤونهم يَتَفَقَّدُ

وقال في التذكير بعدم الخلود في الدنيا :

أخي ما بال قلبك ليس يَنْقَى ... كأنَّكَ لا تَظُنُّ الموتَ حقَّا
ألا يابن الذين فنوا وماتوا ... أما والله ما ذهبوا لتبقا
فما للنفس في الدنيا خلود ... إذا ما استكملت أجلاً ورزقا
فما لك غير تقوى الله زاد ... فبالتقوى إلى الجنان ترقا

وقال في معاتبة النفس :

أعاتب النفس زجراً عن خطيئتها ... حتى إذا ما بكت خوفاً من الله
يقول قلبي هذا الوقت قد محيت ... ذنوبها فابتهل وارغب إلى الله
عسى يجود ويعفو ثم يرحمنا ... يا نفس لا تقنطي من رحمة الله
يا نفس إن أبطأت عنا إجابته ... نلازم الباب تأتي رحمة الله
يا ربِّ صلِّ على خير الأنام ومن ... قد جاء نصر له حقاً من الله
والآل والصحب والأتباع كلهم ... ومن يلوذ بهم في رحمة الله

الفصل الرابع
من معلّمي حرستا

ظهر في البلدة كثير من المعلمين، الذين كان لهم باع كبير في تعليم أبناء حرستا، في عصر كان يسود فيه الجهل والأميّة، وخاصةً في بداية الحكم العثماني ومن بعده الاحتلال الفرنسي لبلادنا. إذ كان التعليم محصوراً ضمن الكتاتيب وعند بعض الشيوخ، وعلى أيدي بعض النساء التي تسمى «خجا».

وعندما استخدم مسجد الشيخ موسى كمدرسة لتعليم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة ظهر «محمد راشد الشعّار» الذي حصل على الصف الرابع الابتدائي في ذلك المسجد، وللحصول على الصف الخامس انتقل إلى بلدة دومة. ولمّا قامت الثورة السورية انتقل مع أهل بلدته إلى دمشق وفيها حصل على الشهادة الثانوية في مدرسة «التجهيز ودار المعلمين». ثم تقدَّم إلى مسابقة أجرتها المدرسة فنجح بامتياز وحصل على الدرجة الأولى، وأصبح طالباً في تلك المدرسة يَدْرسُ على حسابها ليلاً لتفوقه. ثم بعد ذلك عُيِّن مديراً لمدرسة في بلدة «ضمير» وكان معلماً فيها أيضاً، واستمر على ذلك نحو عامين ونصف.

وفي سنة 1937م جاء السيل الجارف فهدم كثيراً من بيوتات القرى وهُدمت المدرسة التي يعمل بها، فرحل عنها عائداً إلى حرستا. ومن هنا بدأ بترميم مدرسة حرستا الريفية، إذ قام بتسويرها، وحفر فيها بئراً كي يشرب الطلاب منه، وكل ذلك على نفقة البلدية.

وفي سنة 1945م طلب من قائمقام دومة «طلعت السرّاج» ببناء طابق ثان للمدرسة وذلك لازدياد عدد الطلاب في هذه المدرسة، حيث بدأ الإقبال من أهل البلدّة بإرسال أولادهم إليها. وكان التعليم فيها للصف الرابع الابتدائي فقط.

وفي سنة 1946م قام بتجهيز الصف الخامس الذي يُعتبر كشهادة دراسية أولى في تلك الأيام، وكان عدد طلاّبه لا يتجاوز العشرة، حيث يتم امتحانهم في آخر العام بدمشق، وكانوا يبيتون فيها ريثما ينتهي امتحانهم.

ولمّا كانت نتيجة الامتحان نجاح جميع الطلاب وبدرجة جيدة، قامت وزارة التربية بإلزام تدريس الصف الخامس في جميع القرى.

وفي سنة 1947م قدَّم للامتحان ثلاثة عشر طالباً فنجحوا بدرجة جيدة في شهادة الصف الخامس. واستمر على ذلك حتى سنة 1960م حيث عُيِّن الأستاذ محمد راشد مديراً ومُدرِّساً لمدرسة حرستا الريفية.

وفي سنة 1961م قام بتشكيل فرقة من (الكشَّافة) تتألف من خمسين طالباً. وقام أيضاً بتكثيف الدروس في المساء أيام العطلة الصيفية وكان الهدف من ذلك القضاء على الأمية التي كانت متفشِّية بين بعض الناس.

وفي سنة 1962م عُيِّن مفتِّشاً بدمشق، ثم مفتِّشاً لمدارس الرياض في سنة 1966م بدعوة من وزارة التربية السعودية.

وفي سنة 1967م أسَّس في حرستا مدرسة إعدادية في منطقة (النَّفلة)، وعُيِّن أمين سرّ وموجِّهاً للطلاب.

وفي سنة 1969م طلب من الوزارة بناء طابق ثان للمدرسة.

ويُعدُّ «محمد راشد» من أوائل المعلمين في حرستا، وكذلك من أوائل الموظفين، وممن ارتدى الزي الحديث (البدلة).

وفي سنة 1967م أيضاً أسَّس نادي النسور في البلدة، وكان مديره آنذاك «إسماعيل محفوض» أحد معلمي حرستا الأوائل.

وفي سنة 1971م أُحيل الشَّعار إلى التقاعد بعد رحلة طويلة في مجال العلم والتعليم. وكان كثير الاهتمام بأولاد البلدة من أجل تعليمهم. فكان يقوم بنفسه على معظم شؤونهم. وله أعمال كثيرة منها أنه أسَّس جمعية حرستا الخيرية وكان رئيساً لها في سنة 1983م. توفي رحمه الله تعالى سنة 2001م.